٤٨

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية

مركز مدرز للتنمية والدراسات الإسلامية

محاضرة مكتوبة

الجانب الاجتماعي وتحصين المجتمع من قِبل الطليعة المؤمنة



سماحة
الشيخ زمان الحسناوي

محاور المحاضرة:

- عناصر نجاح أي مشروع.
- الفطرة الإنسانية أساس بقاء الأفكار.
- الدين والفطرة الإنسانية.
- بقاء الدين رغم النظريات المعارضة.
- الرد على دعوى حصر الدين في الطقوس.
- القرآن مصدر شامل للمعرفة.
- دور العدل في استقرار المجتمع.
- أهمية الوحدة الاجتماعية.
- التحذير من التفسير الخاطئ لعلامات الظهور.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على حبيب قلوبنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجبين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

عناصر نجاح أي مشروع

إن أي عملية بناء تحتاج إلى عوامل لكي تكون ناجحة.

العامل الأول: هو عامل التأسيس.

والعامل الثاني: هو عامل التشييد بعد التأسيس والبناء.

أما العامل الثالث: فهو عامل الامتداد أو عوامل الاستقرار والتأثير.

فليس بالضرورة أن أي فكرة تُطرح ويُراد التأسيس لها وتأخذ مجالها على أرض الواقع يتم التفاعل معها من قِبل الناس وتكون ناجحة.

الفطرة الإنسانية أساس بقاء الأفكار

نحن نعتقد أن الفكرة حين تكون موافقة لفطرة الإنسان التي فطره الله عليها، يمكن أن يُكتب لها ما يعبّر عنه بلغة اليوم بـ "التنمية المستدامة"؛ أي يمكن أن يُكتب لهذه الفكرة الاستدامة والبقاء والاستمرار، أما إذا لم يكن الأمر موافقًا لفطرة الإنسان وطبعه، فبإمكانه أن يأخذ فترة من الزمن ويشغل الناس، ولكن لا يُكتب له الاستمرار والاستدامة، فتراه يتعثر بعد فترة ولا يكتب له البقاء والنجاح، ثم يأتي مشروع آخر على الشاكلة نفسها ويأخذ فترة من الزمن.

وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بصريح العبارة في سورة الرعد العظيمة: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: 17].

الدين والفطرة الإنسانية

فطرة الله التي فطر الناس عليها هي سبب بقاء الدين واستمراره وقوته، فحتى وإن ضعف التوجه الديني في مجتمع ما خلال فترة معينة، فإنه سرعان ما يعود بقوة.

وهذا ليس مجرد تحليل لشخص مقتنع بالثقافة الدينية ويسعى لتجيير الأمور لصالحه، بل هو الواقع العملي في العالم أجمع. ترى حتى في المجتمعات التي تغرق في عالم المادة -والتي يعبّر عنها القرآن بعبارة ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 176]- أنها تغرق في المادة، ويصفها القرآن بـ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:1] و﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ﴾ [ق: 22]، وكلها عناوين تشير إلى أن الجانب المادي قد يأخذ الإنسان بعيدًا، ولكن، في كل دول العالم سرعان ما يعود الإنسان إلى هذا العالم ليبحث عن ضالّته وراحته النفسية واطمئنانه؛ فلا يمكنه الاستغناء عن هذا الجانب.

بقاء الدين رغم النظريات المعارضة

منذ أن خلق الله الكون وإلى اليوم لم يستطع البشر الاستغناء عن الدين، رغم أن البعض قالوا قديمًا إن الناس تتدين بسبب الجهل.

وها نحن الآن في زمن العلم والتطور والتكنولوجيا، ولم يترك الناس الدين. قالوا إن الناس تثق بالدين وتلجأ إليه بسبب الضعف والخوف، والآن وقد عُرفت الأسباب الطبيعية لبعض الظواهر، ومع ذلك بقي الناس متدينين ويهرعون إلى الدين بمختلف الأشكال. وضعوا نظريات في مقابل الدين عبر التاريخ، فكانت تلك النظريات كالزبد الذي تلاشى وانتهى، ثم بينوا هم أنفسهم ثغراتها ومشاكلها الكثيرة، بينما بقي الدين صامدًا. وهذا ما نراه عند قراءة تاريخ البشرية؛ فالدين صامد وقوي منذ بداية البشرية إلى اليوم. ومن أهم أسباب ذلك أن الجانب الديني بكل تفاصيله -سواء الفكرية أو العملية السلوكية أو تلك المرتبطة بعالم النفس والروح والقلب- يتلاءم مع هذه المجالات ولا يتقاطع معها. وهنا يبرز قوله تعالى بدقة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

كنتُ يوما ما في إحدى الجامعات، والتقيتُ بأحد الأساتذة، فدار بيننا نقاشٌ حول بعض المسائل الدينية والعلمية. وكان الحديث يدور عن تقدّم العلم الحديث، وكيف أنّ العلماء كلّما تقدّموا في اكتشافاتهم العلمية أدركوا أنّ ما خفي عنهم من الحقائق أعظم بكثيرٍ مما وصلوا إليه.

فقلتُ له: إنّ هذا الكلام الذي تذكره الآن، والذي تتوصّلون إليه شيئاً فشيئاً مع تقدّم العلم، قد ذكره الله تعالى قبل أكثر من ألفٍ وأربعمائة عام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85].

إنّ هذه الآية الكريمة ـ إذا ما قورنت بما وصل إليه العلم الحديث اليوم ـ تكشف عن دلالةٍ واضحة؛ فهي تشير إلى حقيقةٍ بدأ العلماء يدركونها اليوم إدراكاً يقينياً، وهي أنّ كلّ اكتشافٍ جديدٍ يقودهم إلى الإحساس بأنّ ما لم يُكتشف بعد هو أكثر بكثيرٍ مما اكتُشف.

ويؤكّد هذا المعنى أيضاً قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]، وقوله سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

فإذا تأمّلنا هذه الآيات الكريمة منذ نزول القرآن الكريم إلى يومنا هذا، وجدنا أنّ الواقع العلمي المتجدّد يؤكّد دلالاتها، ويشهد بصحّة ما جاء به القرآن الكريم.

وهذا الصدق الذي تتوصل إليه الدنيا الآن، وكل ما يظهر لاحقًا في هذا الكتاب العظيم وفي تراث المعصومين (عليهم السلام) كنهج البلاغة والصحيفة السجادية والكافي الشريف، يعطي انطباعًا واحدًا وهو "الحق". هذا يثبت أن الخالق محيط بنا، وقد وضع لنا ما ينفعنا في كل مجال.

الرد على دعوى حصر الدين في الطقوس

كلما تأمل الإنسان في هذه الأمور يكتشف العجب العجاب، ويكشف ثقل الدين وعظمته وجلالة قدره؛ فالدين تناول كل المجالات ولم يترك شيئًا، خلافًا لما يروج له الذين يبغونها عوجًا، يدّعون أن الدين يقتصر على غسل الموتى، وليس غسل الميت عيبًا؛ فكل أمة تتعامل مع موتاها بطريقة ما. وللعجب، لا تثير طقوس الآخرين السخرية -سواء من يملأ الميت بالورود أو من يحرقه بالنار- بينما يسخرون من طقوسنا! يقولون: "ماذا لديهم سوى غسل الميت أو تطهير النجاسة؟"؛ نعم، هذه الأمور مذكورة في ديننا وهي محترمة عندنا. وسأذكر رواية عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال لي: ((يا جابر! والله لحديث تصيبه من صادق في حلال وحرام، خير لك مما طلعت عليه الشمس حتى تغرب))[1]، لذا لا ينبغي أن نكون ضعفاء أمام كلام هؤلاء ولا نتنازل عن قيمنا وثقافتنا. لكن الدين ليس هذا فحسب، بل هو هذا وأمور أخرى كثيرة.

القرآن مصدر شامل للمعرفة

علماء التفسير -مثل السيد هاشم البحراني أو الحويزي أو القمي والعياشي وفرات- يضعون مقدمات مأخوذة من الروايات الشريفة. ومن هذه المقدمات أن القرآن فيه كل شيء، ولكن هذا العلم يعرفه أهله فقط. ذكرت هذا لأنه حتى الحقائق القرآنية لا بد أن نأتيها من خلال الروايات الشريفة ومن خلال ظاهر النص، أما البطون فهي محصورة بالمعصومين (عليهم السلام). ومن الأبواب التي يضعها علماء التفسير باب "أن القرآن فيه كل شيء ولكن لا تبلغه عقول الرجال"[2]، ويوردون تحت هذا الباب عدة روايات، منها: ((أنه ما من أمر يحتاج إليه اثنان في العالم إلا وله أصل في القرآن ولكن لا تدركه العقول)). وحين سُئل الإمام: "كيف نحصل عليه يا ابن رسول الله؟"،

---

[1] - وسائل الشيعة، الحر العاملي: 27 /84.

[2] - عن المعلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ((ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل ولكن لا تبلغه عقول الرجال)). الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٦٠.

قال: ((ترجعون إلينا ونحن نخبركم بأصله في القرآن))[3]. فالحقيقة واحدة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]، و﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 49]، و ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: 32]، و ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79].

والدين الإسلامي دين كامل لا ينظر فقط لمجال الأحكام الشرعية أو العقائد، بل هو نظرية متكاملة وحق متكامل في كل جانب: فكري، وسلوكي، وأخلاقي.

الإسلام مَلأ كل هذه الجوانب ليوصل الإنسان إلى سعادته.

وفي الجانب الاجتماعي، يقول القرآن للنبي عن المؤمنين: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: 63].

وانظروا الآن إلى الكرة الأرضية، والله إنها لإعجاز؛ فهم حاولوا تأليف القلوب من الجانب المادي فقط وفشلوا، بل زادوا الناس اضطرابًا وعداوات. لقد أصبحت الأرض كالغابة. لا يمكن تأليف القلوب إلا من خلال المنهج الذي وضعه القرآن، والذي يدخل فيه الجانب المعنوي إلى جانب الأمور المادية، مع التركيز على الجانب المعنوي المأخوذ من المصادر الأصيلة: القرآن والنبي وآله.

[3] - عن عبد الله بن سنان، عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ((إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله، ثم قال في بعض حديثه، إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال، فقيل له: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله؟ قال: إن الله عز وجل يقول: {لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس} وقال: {ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما} وقال: {لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم})). الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٦٠.

دور العدل في استقرار المجتمع

لقد أشار القرآن إلى هذا الطريق منذ البداية. وفي فقرة من خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) تشير لذلك، وهي قولها: ((والعدل تنسيقًا للقلوب))[4]. كلام عظيم! العدل في كل شيء ينسق القلوب.

وأهم ما يحتاجه الجانب الاجتماعي ويصونه هو تناسق القلوب الذي يولد تألف الأرواح وسكون المجتمعات. لذا تجد المجتمعات التي يسودها العدل -ولو نسبيًا- هادئة، بينما المجتمعات الخالية من العدل صاخبة ومضطربة. والعدل الحقيقي هو الذي يملأ الأرض قِسْطًا وَعَدْلًا كما هو عند علي بن أبي طالب والحسن (عليهما السلام). البشرية ستبحث عن العدل عند غيرهم ولن تصل لنتيجة، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: 83] ولكن ذلك العلم لم يغنِ عنهم شيئًا.

وبالرجوع إلى سورة الأنعام: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: 82]. فالعدل في مقابل الظلم، والحق في مقابل الباطل. هذا هو المنهاج الواضح الذي يتلائم مع فطرة الإنسان ويوصل المجتمعات لبر الأمان، بخلاف ما يفعله الآخرون من ظلم وبعد عن الأخلاق. الكرة الأرضية لا بد أن تعود يومًا ما للقرآن ومحمد وآل محمد؛ فلا خيار آخر أمامها. القرآن يقرر معادلة: (عدل = أمن)، ولهذا فإن الإمام المهدي حين يملأ الأرض قسطًا وعدلًا[5]،

---

[4] - قالت السيدة الزهراء (عليها السلام): ((... فجعل الله الايمان تطهيرًا لكم من الشرك، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس، ونماء في الرزق، والصيام تثبيتا للإخلاص، والحج تشييدا للدين، **والعدل تنسيقا للقلوب**، وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا من الفرقة، والجهاد عزا للإسلام...)). [بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٩ / ٢٢٣].

[5] - عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال: ((أُبَشِّرُكُمْ بِالمَهْدِيّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتي عَلَى اخْتِلافٍ مِن النّاس وَزَلازِلَ، فَيَمْلَأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، يَرْضى عَنْهُ ساكِنُ السَّماءِ وَساكِنُ الأرض، يَقْسِمُ المَالَ صِحَاحاً، فقالَ لَهُ رَجُلٌ: ما صِحاحاً؟ قالَ: بالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النّاس، قالَ: وَيَمْلأُ اللهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) غِنىً، وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ، حَتّى يَأْمُرَ مُنَادِياً فَيُنادِي فَيَقُولُ: مَنْ لَهُ من مالٍ حاجةٌ؟ فَما يَقُومُ مِن النّاسِ إلّا رَجُلٌ، فَيقولُ: ائْتِ السَّدّانَ - يَعني الخازِنَ - فَقُلْ لَهُ: إنَّ المَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أنْ تُعْطِيني مالاً، فَيَقُولُ لَهُ: أُحْثُ، حَتّى إذا جَعَلَهُ فِي حِجْرِهِ وَأَبْرَزَهُ نَدِمٌ، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ نَفْساً، أَوَ عَجِزَ عَنّي ما وَسِعَهُمْ؟ قالَ: فَيَرُدُّهُ فَلا يُقْبَلُ مِنْهُ، فَيُقالُ لَهُ: إنّا لا نَأْخُذُ شَيْئاً أَعْطَيْنَاه، فَيَكُونُ كَذلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أو ثَمانِ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، ثُمَّ لا خَيْرَ في العَيْشِ بَعْدَهُ، أو قال: ثُمَّ لا خَيْرَ فِي الحَياةِ بَعْدَهُ)). غيبة الطوسي: ١٧٨.

تخرج المرأة من مدينة إلى أخرى دون أن يمسها سوء؛ لوجود العدل والأمن والسكون. العدل في ثقافة القرآن والعترة مرتبط بأهل العصمة والحق.

التكامل الإنساني -كما أرى- ينقسم لقسمين: تكامل تكويني وجودي مرتبط ببدن الإنسان (تراب، نطفة، علقة، مضغة، عظام)، والله تعالى تكفل بهذا الانتقال من طور لآخر. وهناك تكامل معنوي أخلاقي بين الإسلام معالمه وربطه بالنفس والروح والعقل. العقل هو ((ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان))[6]. ويقول تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 3]؛ وهنا يدخل الجانب الاجتماعي، حيث يشتغل الإنسان على نفسه وعلى الآخرين. فالأمة المؤمنة تحمل همًا اجتماعيًا لا فرديًا فحسب. وهذا التكامل المعنوي يركز على أصلين: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: 36]. وأهل البيت (عليهم السلام) هم "قادة الأمم" كما في الزيارة الجامعة. ومعرفة الله وعبادته لا تكون إلا من خلالهم: "من أراد الله بدأ بكم"؛ فنرجع لنهج البلاغة والصحيفة السجادية.

إن الشيخ الكليني -رحمه الله- نادرًا ما يعلق في الكافي، ولكنه علق بإعجاب وإكبار على إحدى خطب التوحيد لأمير المؤمنين، مبينًا أن فصحاء الدنيا لو اجتمعوا ما استطاعوا كتابة صدر منها. هذا في جانب "اعبدوا الله"، أما في جانب التكامل المجتمعي فيبرز قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55]. فحين يحكم أهل الحق والعصمة والمعايير الإلهية، يتحقق الأمن والنجاح للمجتمع.

[6] - الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١١.

الدين الإسلامي كامل، والقرآن والسنة لهما دور التأسيس، أما التشييد فقام به أولياء الدين الذين أرسوا ركائزه في الفكر والفقه والأخلاق. ثم جاء دور العلماء؛ وهذا تسلسل قرآني: (أنبياء، ربانيون، أحبار) بما استُحفظوا من كتاب الله. فالعالم يتعلم في مدرسة الوصي ويأخذ بيد الناس، ولا سيما في زمن الغيبة، إذ لا خيار سوى الرجوع للعلماء الجامعين للشرائط.

الإمام الصادق (عليه السلام) قال لأبان بن تغلب: ((اجلس في مسجد المدينة وأفتِ الناس، فإني أحب أن يُرى في أصحابي مثلك))[7]. الامتثال خير من الأدب؛ فالأئمة في زمن ظهورهم أرجعونا للفقهاء، مثل زكريا بن آدم، فكيف بزمن غيبتهم؟ لا يمكن أن يتركوا الشيعة هملًا دون ضابطة.

يأتي دور العلماء والنخب والقاعدة الجماهيرية في الحفاظ على التأسيس والتشييد والامتداد. ولا بد قبل البناء من التفكير بـ "التحصين"، وهو المصل المناعي الذي يحفظ البناء من التصدع بالاعتماد على الأصالة. أهم ما يميز فقه جعفر بن محمد هي الأصالة: ((حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة))[8]. الخروج عن الأصالة يبدأ بتخريب المشروع، لذا لا بد من الحفاظ على الثوابت والقرآن والعترة. ولكي لا يكون هناك انفصال بين الأجيال، يجب الاعتماد على الجانب الروحي والأخلاقي والمادي المأخوذ من مصادره الصحيحة، وهذا يلخصه حديث الثقلين.

أهمية الوحدة الاجتماعية

يجب أخذ أمورنا المصيرية من القناة المؤتمنة، ومن أهم المجالات "رصّ الصفوف اجتماعيًا". وتجربة النجف الأشرف الآن رائدة في توحيد الصفوف ولمّ الشمل وتهيئة النفوس لأي طارئ، حيث تتوجه الأغلبية لجهة معلومة وأصيلة. أحد أصحاب الإمام

---

[7] - وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٩ / ٣١٧.

[8] - الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٥٨.

الصادق رأى اثنين من الشيعة مختلفين على مال، فأعطاهما المبلغ ليصلح بينهما، وأخبرهما أن المال من الإمام الصادق الذي أمره بالتدخل وفض النزاعات المالية للحفاظ على العلاقات بين المؤمنين[9].

نحن نحصن وضعنا الاجتماعي بالجانب المادي (المال)، والمعنوي (العدل والتنمية والأخلاق)، لنصل لبر الأمان بمحمد وآله.

التحذير من التفسير الخاطئ لعلامات الظهور

وبالنسبة لموضوع علامات الظهور، فنحن في زمن الغيبة نحتاج أولًا لترتيب أوراقنا وأنفسنا بالتقوى والطاعة وترك المحرمات. سواء ظهر الإمام غدًا أو بعد ألف عام، المهم أن تكون لديك فكرة صحيحة عن الإمام وتسلم أمرك لله.

الهوس بعلامات الظهور وإسقاطها على الأحداث بشكل فوضوي هو منهج خاطئ أثبت فشله عبر التاريخ.

وقد صدر بيان[10] من المرجع الأعلى السيد السيستاني (حفظه الله) يحذر من هذا المنهج الخاطئ في تطبيق الروايات على الأحداث.

---

[9] - اختلف شخص مع أقربائه على ميراث، وانتهى أمرهم إلى الجدال والعراك، فمرَّ بهم المفضل - وهو أحد أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) - والتفت إلى ما يجري بينهم من نزاع فدعاهم إلى بيته وأقّر بينهم الصلح بأربعمائة درهم، ثم دفع الدراهم وأنهى الاختلاف، وقال لهم المفضل: ان هذه الأموال التي دفعتها في سبيل حلّ النزاع الواقع بينكم إنما هي أموال الإمام الصادق (عليه السلام) حيث أمرني بصرف أمواله لإيجاد الصلح بين شخصين من الشيعة يحدث بينهما صراع ونزاع (الكافي: 2 /209).

[10] - نصائح سماحته (دام ظلّه) للمؤمنين في عصر غيبة الامام المهدي (عج)

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحلّ بعد أيام ذكرى ولادة الامام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) في النصف من شعبان، وفي هذه المناسبة العطرة يرجى بيان ما يراه سيدنا المرجع الأعلى من وظائف لشيعة أهل البيت (عليهم السلام) في زمان غيبته سلام الله عليه؟

بسمه تعالى

إن على المؤمنين (أعزّهم الله تعالى) أن يستحضروا دائماً أن الإمام المهدي (عليه السلام) هو الإمام المنصوب عليهم من عند الله سبحانه في هذا العصر، ولكن الحكمة الإلهية اقتضت غيبته عن الأنظار الى أن يأذن له في الظهور.

ولذلك فإن عليهم مضافاً إلى واجب معرفته والإذعان به والمودة له أن يكثروا من الدعاء له في خلواتهم ومجالسهم ويهتموا بالشعائر التي تحيي ذكره وذكر آبائه (عليهم السلام) وما جرى عليهم بأيدي الظالمين.

وليستحضروا عناءه (عليه السلام) في غيبته لما يراه من المظالم والمفاسد في كل مكان وشوقه إلى أن يكون ظاهراً ليصلح ما انحرف من دين الله ويقيم العدل بين عباده.

وليعلموا أنهم جميعاً محل اهتمامه وعنايته، وهو أرأف بهم من آبائهم وأمهاتهم ويهمه أمورهم وأحوالهم، ويتعهدهم بالدعاء والرعاية، وينبغي أن يتوسلوا بجاهه في قضاء الحوائج ورفع المشكلات.

وليكونوا منتظرين لقدومه داعين للفرج عنه وعن الأمة بظهوره مستعدين له بمزيدٍ من التبصر واليقين وحسن الطاعة.

وفيما يخص عدم امتثال بعض الشباب رغم المحاضرات، فهذا يعود لعدة عوامل. أنا أعتقد أن شبابنا مهيؤون للعمل، ولكن قد تكون المشكلة في الداعي أو في طريقة إيصال المعلومة. المبلغ الماهر يجب أن يكتشف مكمن الخلل؛ كما في قصة الشيخ الفلسفي مع ذلك الخطيب الذي كان يشتت انتباه الناس بإصبعه الطويل دون أن يشعر. حتى نظافة المكان وترتيبه يؤثر في جذب الشباب. وعلى طالب العلم أن يثابر ويخلص ويستغل الوقت؛ فالدلال الموجود الآن لطلبة العلم لم يمر به السابقون الذين كانوا يدرسون على الشموع وفي شدة الفقر والحر. نحن في معركة والعدو يشتغل ليلًا نهارًا (بل مكر الليل والنهار)، فعلينا أن نشتغل ليلًا نهارًا كما فعل نوح (عليه

وليهتموا اهتماماً كبيراً بطاعته ونيل رضاه وتجنب معصيته وسخطه، فإن طاعته هي طاعة الله سبحانه ورضاه من رضاه تعالى، كما أن في معصيته وسخطه معصية الله وسخطه.

وإنما تحصل طاعته (عليه السلام) بالحفاظ على الإيمان والاعتقاد الحق وتعلم الوظائف الشرعية التي أمر بها الله سبحانه ورسوله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرون (عليهم السلام) من آبائه، ثم العمل بها والمواظبة عليها، وتزكية النفس وتهذيبها وفق ما جاء عنهم، والاتعاظ بمواعظهم والاهتداء بهديهم.

وليسع كل امرئ منهم أن يكون بسلوكه وأخلاقه وهديه زيناً لهم ولا يكون شيناً عليهم، فيلتزم بتعاليم الشرع الشريف من أداء الفرائض وترك المآثم والفواحش، والتحلي بمكارم الأخلاق مثل الصدق وحسن الخلق وكف الأذى عن الآخرين والعفاف في القول والمظهر والسلوك وإعانة الضعفاء والفقراء واليتامى والمضطرين، والإحسان إلى الوالدين وصلة الأرحام، فإن فيها رضا الله سبحانه ورسوله (صلى الله عليه وآله) ومسرة الإمام (عليه السلام) وفي ذلك خير الدنيا والآخرة.

وليتعاون المؤمنون في زمان الغيبة بما يقتضيه الولاء فيما بينهم بالبر والتقوى وليتواصوا بالحق والصبر وليحذروا عن التشتت والتفرقة والتباغض. وليرع الأغنياء الذين وسع الله تعالى عليهم الفقراء والمحتاجين والمستضعفين والمضطرين بأداء ما عليهم من الحقوق الشرعية وسائر ما تستوجبه حالات الاضطرار وتقتضيه شريعة الإحسان، فإن من أعان أحداً من أوليائه (عليه السلام) كان ذلك عوناً له (عليه السلام) في ذلك لأن هؤلاء كلهم عياله ولكن شاء الله سبحانه غيبته حتى حين.

وليحذروا عن الوقوع في الشبهات المضلة والفتن المهلكة التي تتفق في غيبته وأشدها ما أضرّ بالعقيدة فزلّ صاحبها عن الدين أو ضلّ عن الولاء لهم (عليهم السلام).

ومن جملة ذلك الوقوع في فخّ من يدعي النيابة الخاصة أو يزعم الاتصال الخاص وينقل عنه (عليه السلام) تعليمات خاصة، فإن هؤلاء قطاع طرق لعقائد الشيعة في رجوعهم إلى أهل البيت (عليهم السلام)، بل الواجب الذي لا شك فيه في هذا المذهب كما جرت عليه سيرة المؤمنين جميعاً طيلة اثني عشر قرناً من غيبته ما أوصى به (عليه السلام) أولياءه وشيعته من الرجوع فيما اشتبه عليهم من أمور الدين إلى الأمثل فالأمثل من الفقهاء العدول المتقين من شيعتهم المقتفين لآثارهم وهديهم، فإنهم حجته عليهم وهو حجة الله على الناس جميعاً.

كما أن من البدع المهلكة الدعوة إلى الرجوع إلى كل ما نسب إلى الائمة (عليهم السلام) من دون معرفة واختصاص ولا تنقيح وتمحيص ليتبوأ الجاهلون بالآثار وأصول تمحيصها وتنقيحها مقام العلماء العاملين المتخصصين في شأن ذلك.

كما أن من البدع المهلكة إنكار ثوابت الدين وقواعده أياً كانت الشبهة الباعثة عليه، ومن صعب عليه العمل بشيء من التعاليم فلا يندفعنّ بذلك إلى إنكارها أو التشكيك فيها، فإنّ على العاصي إثماً واحداً وعلى المنكر والمشكك إثمين.

وليحذروا عن مزاعم توقيت الظهور أو ما بمنزلتها أياً كان زاعمها، لما ورد من النهي المؤكد عن مثل ذلك وتكذيب من ادّعاه، وتشهد عليه التجارب المتكررة حيث صدرت هذه المزاعم كثيراً في التاريخ، ثم استبان كذبها والوهم فيها.

وليعلم المؤمنون أن من أحسن انتظاره (عليه السلام) بمراعاة ما تقدم كان ذلك دليل صدقه فيما يتمناه من إدراك الإمام (عليه السلام) والانصياع لأمره والنصرة له، ومن تمنى ذلك صادقاً فهو إن لم يكتب له الله سبحانه إدراكه وفق مقاديره فهو محشور مع من أدركه وأطاعه ونصره مثاب بمثل ثوابه وذلك فوز عظيم.

اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة.

اللهم صلّ على وليك الحجة بن الحسن صلاة نامية تامة زاكية أفضل ما صليت على أحد من أوليائك، اللهم كن له ولياً وقائداً وحافظاً وناصراً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً.

اللهم هب لنا رأفته ورحمته ودعاءه وخيره ما ننال به سعةً من رحمتك وفوزاً عندك إنك على كل شيء قدير.

مكتب السيد السيستاني (دام ظلّه) ـ النجف الأشرف. https://www.sistani.org/arabic/archive/26548/.

السلام). العلم ((إن أعطيته كلك أعطاك بعضه))[11]. وأخيرًا، الوصول للحالة المعنوية يكون بمحاسبة النفس وتهذيبها وتطبيق تراث المعصومين.

[11] - منية المريد، الشهيد الثاني: ١٦٩.